التأويل ومتعدد الدلالة في كتب الوجوه والنظائر، قاموس القرآن للدامغاني أنموذجا

د. عبد السلام ميلاد جبريل

قسم اللغة العربية

. كلية التربية . جامعة سبها

ملخص

يدرس هذا البحث مفهوم التأويل بوصفه منهجا علميا في قراءة النص وإزالة الغموض عن مراد المتكلم، وتم الربط بين المفاهيم النظرية لمصطلح التأويل وتطبيقه على أحد كتب التراث العربي وهو كتاب قاموس القرآن للدامغاني، واقتضى ذلك بيان مفهوم التأويل في التراث العربي عند اللغويين والمفسرين والنقاد، ثم بعد ذلك الوقوف على التطور العلمي لمفهوم التأويل في الدراسات الحديثة، كما تم الربط بين مفهوم التأويل والسياق؛ لتحقيق الغاية من التأويل، وهو البحث في إيضاح المعنى وكشف الدلالة؛ لذلك جاءت إشكالية البحث في التساؤل التالي:

إلى أي مدى استطاع الدامغاني توظيف التأويل والسياق في إيضاح المعنى عن ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن الكريم في كتابه قاموس القرآن؟ ومما دفعنا للبحث في هذا الموضوع هو بيان أهمية التأويل في فهم معنى النص، وإزالة الغموض عن مراد المتكلم في الخطاب خصوصا الخطاب القرآني.

وخلص البحث إلى جملة من النتائج منها: أن الدامغاني كان له منهجه التأويلي الواضح في كشف الدلالة وإزالة الغموض عن بعض ألفاظ القرآن التي جمعها في كتابه، واعتمد على السياق وآلية عملية للبحث في المعنى.

الكلمات المفتاحية: الدامغاني – التأويل – السياق – الوجوه والنظائر – المعنى.

Abstract

This research aims at studying the concept of interpretation as a scientific method for reading the text and removing ambiguity from the speaker's intention.

A link andconnection was made between the theoretical concepts of the term interpretationand its application to one of the Arab heritage books, which is the book The Faces and Analogies "Alwojooh wannadaer " by Al-Damghani.

The concept of interpretation and context were also linked to achieve the purpose of interpretation, which is the search to clarify the meaning and reveal the significance. Therefore, the research problem came in the following question: To what extent was Al-Damghani employing interpretation and context in clarifying the meaning of the words of"Alwojoohwannadaer", Faces and Analogiesin the Noble?

What prompted us to research this subject is to clarify the importance of interpretation in understanding the meaning of the text, as well as to remove the ambiguity about the intention of the speaker in the discourse, especially the Qur’anic discourse.

The research concluded with a number of results, including:-

Al-Damghani had his clear hermeneutical approach in revealing the significance and removing ambiguity from some of the words of the Qur’an that he collected in his book,Faces and Analogies, and he relied on the context and a practical mechanism for searching in the meaning.

key words: Damghani - interpretation - context - Faces and Analogies- meaning.

مقدمة:

تقوم فكرة البحث علىٰ الربط بين التأويل والدلالة والسياق من وجهة نظر الدلالة اللسانية، ويعد التأويل في حد ذاته منهجا للبحث في المعنى والدلالة، سواء في اللفظ المفرد أم علىٰ مستوى النص والخطاب، ويقوم التأويل في أساس وضعه اللغوي علىٰ نقل الكلام مصحوبا بالدليل علىٰ إثبات معناه المراد بغية إزالة إشكاله وغموضه.

وتبيَّن من القراءة الأوَّليِّة الحضور الكبير والفاعل لمصطلح التأويل في الموروث الثقافي العربي عند علماء اللغة علىٰ وجه التحديد؛ حيث تمَّ توظيفه في البحث في دلالة الألفاظ المشتركة في اللفظ، أو المتحدة اللفظ المتعددة المعنى، واتخذ بعض المهتمين بالبحث في دلالة ألفاظ القرآن الكريم التأويل

أداة ووسيلة لفهم المعنى، فظهر عندهم ما يعرف بالوجوه والنظائر في شكل معاجم، ويعد كتاب قاموس القرآن أحد تلك المعاجم، التي يبدو فيها التأويل ممارسة فاعلة في البحث في دلالة الألفاظ.

وتأسيسا على ما سبق تخيَّر الباحث عنوانا للبحث وهو:

(التأويل ومتعدد الدلالة في كتب الوجوه والنظائر، قاموس القرآن للدامغاني أنموذجا.)

ولعل من أسباب اختيار ذلك هو التأصيل لمصطلح التأويل في الثقافة العربية باعتباره وسيلة وآلية فاعلة للبحث في دلالة الألفاظ كما نظَّر لها علماء الدلالة في الدرس الحديث.

وينطلق البحث من إشكالية تبدو في التساؤلات التالية:

إلى أي مدى استطاع الدامغاني أن يوظف مفهوم التأويل في دراسة المعنى في كتابه موضوع الدراسة؟ وكيف ربط بين التأويل والسياق لإيضاح دلالة الألفاظ؟ وهل لذلك شواهد وتطبيقات في الكتاب؟

وتكمن أهمية البحث في بيان دور التأويل في فهم المعنى وتحقيق الدلالة اعتمادا على السياق.

ومن أهداف البحث التأصيل لمصطلح التأويل في التراث العربي وإثرائه في ضوء المناهج والنظريات الحديثة.

ويتبع الباحث المنهج الوصفي المعتمد على التحليل والاستقراء؛ وصولا لتحقيق نتائج مُنتظَّرة من البحث.

اقْتُرِح مخطط للبحث وفق التالي:

مقدمة

المطلب الأول/ التأويل: مفهومه، ومنزلته.

المطلب الثاني / علاقة التأويل بالدلالة.

المطلب الثالث/ آلية التأويل وتطبيقاتها في كتاب قاموس القرآن للدامغاني.

الخاتمة.

مدخل/ مفهوم الوجوه والنظائر والتأليف فيها.

ظهر مصطلح الوجوه والنظائر متزامنا مع ظهور القرآن الكريم والحاجة المُلحّةِ لمعرفة ألفاظه وتفسيرها وبيان مدلولاتها، وما ساعد على ذلك بلاغة القرآن وإعجازه في ألفاظه وتراكيبه وأساليبه، ويعد كثير من العلماء الوجوه والنظائر علماً من علوم القرآن لا يقل شأناً عن أي علم من علوم القرآن المعروفة مثل: الناسخ والمنسوخ والمناسبة والمكي والمدني ...

ونال هذا العلم القرآني عناية واهتماما من بعض العلماء العرب الذين اتجهت أنظارهم للبحث في علوم القرآن، واشترك في البحث فيه طائفة من المفسرين معتمدين على اللغة وآلياتها في تفسير دلالة الألفاظ وكشف معانيها وإيضاح غاياتها ومقاصدها، ولا يخفى علىٰ كثير من المهتمين بالبحث في تفسير القرآن الحاجة إلىٰ اللغة وقواعدها في التفسير؛ لذلك نجد كثيرا من كتب التفسير تتضمن في عناوينها ومناهجها قضايا اللغة ومسائلها وموضوعاتها كالبلاغة والنحو والصرف.

ويظل السؤال هنا ماذا يقصد بالوجوه؟ وماذا يقصد بالنظائر؟

وقد أجابت كتب المصطلحات والكتب المُؤَلَّفة في هذا النوع من العلوم عن ذلك؛ ونقف علىٰ ما قاله ابن الجوزي في ذلك حيث عرفها بقوله: " أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر" (الجوزي، 1984 ، ص39) ومن التعريف يمكن استخلاص معنى الوجوه ومعنى النظائر.

فالوجوه: هي المعاني والدلالات المختلفة، والنظائر: هي اتحاد الألفاظ في حركاتها وسكناتها،

وبشكل أكثر وضوحا نقول: الوجوه تسمية بالألفاظ، أما النظائر فهي تسمية المعاني، وتكون العلاقة هنا بين اللفظ ومعناه ويحتاج ذلك –بطبيعة الحال– إلى سياق وآلية تحكم ذلك السياق، فكان مصطلحا (التفسير والتأويل) هما الآلية السياقية المُعِينة على تفسير الوجوه والنظائر، وهو ما اختاره بعض المفسرين عنوانا لكتابه في التفسير كما فعل الإمام الطبري في تفسيره المسمَّى (جامع البيان في تأويل آي القرآن).

وذكر فيه غايته وقصده من وضع الكتاب فقال: " ونحن في شرح تأويله (أي القرآن الكريم) وبيان ما فيه من معانيه منشئون ــ إن شاء الله ذلك ــ كتابا مستوعبا لكل ما بالناس إليه حاجة من علمه" (الطبري، 2007 ، ج1، ص20)، والتأويل عنده بمعني التفسير والإيضاح والبيان عن الشيء، ويرى أن منه المقبول ومنه المردود (الطبري، ج1،ص27).

هذا وقد تعرَّض الزركشي لتعريف الوجوه والنظائر في كتابه البرهان في علوم القرآن؛ فعرَّف الوجوه بقوله: "اللفظ الذي يستعمل في عدة معان كلفظ (الأُمَّة)، والنظائر: كالألفاظ المتواطئة" (الزركشي، 1972 ، ص193)

أما عن حركة التأليف في الوجوه والنظائر فقد ألَّف فيها بعض العلماء ذكرهم ابن الجوزي في مقدمة كتابه نذكر منهم (الجوزي، 1984 ، ص39) :

1. عكرمة بن عبد الله البربري (105هـ).
2. علي ابن أبي طلحة الهاشمي (143 هـ).
3. محمد بن السائب الكلبي (146 هـ).

وذكر ابن الجوزي أن تلك الكتب الثلاثة تعد من أقدم الكتب المؤلفة في علم الوجوه والنظائر، ولكنها لم تكن في متناول الباحثين والدارسين، ولم تصل إلى المكتبة العربية.

ومن المؤلفات التي وصلت إلى المكتبة العربية كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان.

وتكمن أهمية علم الوجوه والنظائر في ارتباطه بإعجاز القرآن الكريم؛ فغايته –كما يرى السيوطي– الكشف عن إعجاز القرآن الكريم باعتبار أن الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر (السيوطي، 2006 ، ج3 ، ص138)

ويرى ابن عطية أن معرفة الوجوه والنظائر من الفقه، وأنه يشترك مع علم اللغة وعلم التفسير ؛ فلا تفسير إلا بمعرفة حقائق لغة العرب وموضوعاتها؛ لأن الله أنزله قرآنا عربيا مبينا (عطية، 1997 ، ج1، ص 6).

والمحصلة؛ إن علم الوجوه والنظائر واحد من علوم القرآن التي حظيت باهتمام علماء التراث العربي الذين انصبَّت اهتماماتهم بالبحث في تفسير ألفاظ القرآن وتأويل معانيه، ويدل على ذلك التأليف المبكِّر من قبل ثُلة من العلماء، كما أن الوجوه والنظائر تعتمد على الفهم العميق لموضوعات اللغة؛ لارتباطها بالتفسير الذي لا يقوم به إلا من له دراية باللغة ومعرفة وجوه ألفاظها وما يناظرها من معان ودلالات، فلعلم الوجوه النظائر قيمته وأهميته في الدرس القرآني من جهة إعجازه وقوة بيانه، وفي الدرس اللغوي من جهة أخرى.

المطلب الأول/ مدلول التأويل بين التراث والحداثة.

أولا. مصطلح التأويل في الفكر التراثي العربي:

يقتضي مقام الحديث عن مصطلح التأويل النظر فيما جاء في المعاجم اللغوية من إحاطة بالدلالة المعجمية للفظ (التأويل)؛ ونقف على ما قاله ابن منظور عن أصل مادة التأويل فقال: الأَوْلُ: الرجوع، وآل الشيء يؤول أوْلاً ومآلاً : رَجَعَ، وأَوّلَ الكلام وتأوّله: دبّره وقدّره، وأوَّله وتأوَّله : فسَّره، ومنه قال تعالى

:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف من الآية 21)، ثم نقل عن ابن الأثير قوله: والمراد بالتأويل: نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ (منظور، 2008، ج1، ص 194)، وقال الجوهري : التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء (الرازي، 2010 ، ص38) .

مصطلح التأويل: يمكن القول بادي ذي بدء: إن مصطلح التأويل من المصطلحات التي اتسمت بالتنوع المعرفي؛ أي أنه كان حاضرا في علوم مختلفة مثل علم اللغة والتفسير والنقد والبلاغة فضلا عن الفلسفة وربما في علوم أخرى، وسيحاول الباحث تحديد المصطلح وفق هذا التنوع المعرفي.

1.عند علماء اللغة:

يقود الحديث عن التأويل عند علماء اللغة إلى استحضار مصطلح المشترك اللفظي الذي شغل تفكير اللغويين العرب منذ البدايات الأولى في التأليف في مسائل المفردات العربية مثل الترادف والتضاد والنحت والاشتقاق، ولعل الاختلاف الناشيء عن الإقرار بوجود المشترك اللفظي في اللغة مرده إلى اعتماد طائفة من علماء اللغة على مبدأ التأويل؛ فقادهم ذلك إلى رفض وجود الألفاظ المشتركة في اللفظ المختلفة في المعنى، ويعد ابن درستويه من أصحاب منهج التأويل للمشترك اللفظي، واستدل على ذلك بتأويله لفظ (وجد) وما فيه من معان مختلفة، ويرجع ذلك إلى حاجة اللغوي إلى تأمل المعاني، فغالبا ما يكون معنى اللفظ واحدا، ويفرق بينها في المصادر؛ لأنها كثيرة التصاريف وتحتاج إلى صبر في التفتيش عن تلك المعاني، وفي هذا الصدد ينكر ابن درستويه وجود المشترك اللفظي معتمدا على فكرة التأويل، فكان منهجه في ذلك تأويل أمثلة المشترك اللفظي تأويلا يخرجها من باب المشترك؛ وذلك بإطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة، وفي المعاني الأخرى مجازا (وافي، 1982 ،ص189).

ونقل السيوطي رد ابن درستويه علىٰ من يزعم وجود المشترك وعلى رأسهم سيبويه، وذلك عند تأويله لفظ (وجد)، الذي اعتبره سيبويه من المشترك، ونقل عنه السيوطي نصا يوضح ذلك. (السيوطي، د . ت ،ج1،ص384).

ويعد المبرِّد من أبرز علماء اللغة الذين تناولوا مسألة اتفاق اللفظ واختلاف المعنى بالدراسة والبحث؛ فألف في هذا الباب كتابا عنوانه (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)، وربط المُبرِّد منهجه في الكتاب بتفسير المفردات وتأويلها (المبرد، 1350 ، ص3)، ويبدو من ذلك اعتماد المبرد علىٰ منهج التأويل والتفسير للألفاظ التي هي من قبيل المشترك اللفظي في مصطلح اللغويين.

وركَّز أبو هلال العسكري علىٰ توظيف مصطلح التأويل؛ فدقق في تحديد مفهومه، وفرَّق بينه وبين التفسير، فقال:" التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام"، وقال في ذلك أيضا: " التأويل الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل: استخراج معنى الكلام لا علىٰ ظاهره، بل علىٰ وجه يحتمل مجازا أو حقيقة، ومنه يقال تأويل المتشابه" (العسكري، 1983 ، ص49).

فالعسكري هنا في تعريفه لمصطلح التأويل ربطه بالفهم لمراد المتكلم وغرضه من كلامه، وذلك الفهم لا يتحقق إلا بكشف غموض الكلام، وتوضيح ما فيه من إبهام ولبس، فالكلام غالبا ما يُؤطَّر في نص أو خطاب.

2.عند المفسرين:

قد يكون ظاهرا للعيان مدى ارتباط مصطلح التأويل بمصطلح التفسير عند جمهور المفسرين؛ ويعود ذلك الارتباط والتداخل بين المصطلحين إلىٰ تعلُّقهما بتفسير القرآن وتأويله، وهكذا كان الظهور الأول لمصطلح التأويل، فلم يعرف إلا بأنه حالة من حالات التفسير، وربما ترادف المصطلحان؛ لذلك

يعرَّف التأويل ـ من وجهة نظر بعض المفسرين ـ بأن: " أصله من الأَوْلِ وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني" (السيوطي، 2006 ج3 ص138)، فهذا التعريف بيَّن حضور مفهوم التأويل في علم التفسير واهتمام المفسرين به.

وفي ذات السياق نجد الطبري وهو من كبار المفسرين له كتاب بعنوان (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، ويعد الكتاب من أكثر كتب التفسير عناية بمصطلح التأويل، وتردد المصطلح عند تأويله أغلب الآيات والكلمات التي يوضح معناها بتأويلها.

ويمكن الإفادة مما كتبه السيوطي في بعض أوجه الاختلاف بين التأويل والتفسير، فنقل عن الراغب الأصفهاني قوله: "التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها" (السيوطي، 2006 ج3 ص138)

فالتأويل وإن كان مدلوله يرادف التفسير عند المفسرين إلا أنه قد يختلف عنه في تعلقه بألفاظ اللغة وهو التفسير، وأما من جهة تعلقه بالمعاني فهو التأويل.

3.عند النقاد والبلاغيين العرب:

ونقف هنا على رأي قطب من أقطاب البلاغة والنقد العربي لنتبَّن حصيلة فكره في التعامل مع مصطلح التأويل، فماذا قال عنه عبد القاهر الجرجاني؟

ربط الجرجاني مدلول التأويل بالاستعارة والتشبيه والتمثيل، فذكر الجرجاني ذلك مستعملا مصطلح (التأوُّل) بدل التأويل، وتحدَّث الجرجاني في شأن التأويل في معرض حديثه عن بيان أمر المعاني كيف تتفق وتختلف، فالتأويل عنده تأويل لألفاظ الاستعارة والتشبيه، وخصه بعنوان (التشبيه الذي يحتاج إلى

تأويل) (الجرجاني، 1988 ، ص19) .

وظف الجرجاني مصطلح التأويل في تأويل كثير من الأمثلة للاستعارات، منطلقا من قاعدة أن التأويل يكون للألفاظ وصولا إلى المعاني والدلالات المقصودة التي يفرضها السياق، فيذكر الاستعارة (هذه حجة كالشمس في الظهور)، فيقول في بيان تأويلها : وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها، وهذا التشبيه لا يتم لك إلا بالتأول، وذلك أن تقول حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام أن لا يكون دونها حجاب ونحوهما يحول العين وبين رؤيتها؛ ولذلك يظهر الشيء لك، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب أو لم يكن بينك وبينه ذلك الحجاب، والتأويل في الاستعارة –بحسب الجرجاني– يتفاوت ويتدرج منه التأويل البسيط الذي لا يحتاج إلى عناء وجهد ويسهل الوصول إليه، وهو أقل درجات التأويل، ومنه الشديد الذي يحتاج قدرا من التأمل ورؤية عميقة وفكرة لطيفة (الجرجاني، 1988 ،ص20).

ثانيا . التأويل من منظور الحداثة:

وبما أن الحديث عن الحداثة فإننا ـ بطبيعة الحال ـ نحكم على المصطلح بالتطور وانتقال مفهومه إلى دلالة جديدة حديثة، فما وجه التطور في مصطلح التأويل من منظور الحداثة؟

أقول: إنه مع تنامي البحث في دراسة المعنى والكشف عن غموضه اكتسب مصطلح التأويل بعدا جديدا بالنظر في ما عرف عنه في الدرس التراثي العربي من انحصاره في تأوُّل مدلول المفردات في الخطاب الديني أو المركبات البلاغية من استعارة وتشبيه ليشمل الخطاب والنص، وبات من المعروف أن للفلسفة دورها الفاعل في إحداث هذا النقلة المفهومية لمصطلح التأويل، والزجُّ به في علوم أخرى منها على وجه الخصوص اللغة، حيث تأويل المعاني على مستوى النص والخطاب، (ناصر ، اللغة والتأويل، 2007 ، ص9) .

وينظر المنظِّرون للمصطلح على أنه صار منهجا علميا له مهمته في كشف كل غموض قد يعتري جوانب المعرفة عموما، فكثير من الخطابات قد يصيبها الغموض والضبابية وعدم الوضوح، فيعمل التأويل علىٰ فك كل غموض واستجلاء كل ضبابية؛ فتبرز بالتأويل الدلالات العميقة للعلامات والإشارات في الخطاب أو النص، ومن هنا كانت مهمة المنهج التأويلي حديثا أنه يفيد في قراءة النصوص وكشف المعنى في الخطاب متجاوزا الخطاب الديني ونصوصه إلىٰ ما هو أرحب وأوسع؛ لتحقيق التواصل في أقصى درجات الفهم والتفاهم (ناصر، 2007، ص34).

هذا وقد عمَّق الفلاسفة وعلماء اللغة في الدراسات الغربية مفهوم التأويل حتى أصبح نظرية لها مصطلحاتها وروَّادها الذين أسهموا في جعل التأويل منهجا علميا، عرف عندهم بـ(الهرمينوطيقا)، وقرَّروا أن من مهامها البحث في عمليات الفهم في علاقاتها مع تفسير النصوص، وظهر ذلك في قول الفيلسوف (ريكور) حين عرف التأويل فقال هو: "تأمُّل حول عمليات فهم الممارسة في تأويل النصوص" (ناصر، اللغة والتأويل، 2007 ، ص35)

وخلاصة القول: إن التأويل أصبح ممارسة نشطة فاعلة لتحقيق تواصل ناجح وتخليص الخطابات من كل غموض قد يصاحب لغة كتابتها؛ فيعمل علىٰ فك رموزها وشفراتها الغامضة.

المطلب الثاني/ التأويل والدلالة (علاقة التكامل).

يُوظَّف التأويل في البحث عن المعنى ودلالة المفردات من خلال السياق اللغوي وسياق الموقف، ويعد السياق أداة من أدوات البحث في دلالة الألفاظ، ويرى علماء اللغة المهتمون بالبحث في الدلالة أن للسياق دورا مهما في تفسير دلالة ألفاظ المشترك اللفظي، ومن هنا اقتضى الأمر ربط التأويل بالدلالة في ضوء آلية السياق، لذلك نرى أن نبين دور السياق في تحديد المعنى.

السياق والتأويل:

يعد السياق هو الآلية الدلالية التي يمكن توظيفها بشكل واضح وجلي، وكونه آلية غالبا ما يوصف بأنه إجراء عملي لفك شفرات المعنى وكشف الدلالة، وبالتالي تيسير الفهم (عمر، 1998 ، ص68)، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فيمكن اعتباره مناسبا في دراستنا للألفاظ المشترك اللفظي أو الوجوه والنظائر، وهذا المنهج هو الذي اعتمده المحلِّلون لألفاظ المشترك اللفظي في كل لغات العالم، بحسب ما قرره (فيرث) صاحب نظرية السياق.

ومن هنا اكتسب السياق قيمة عملية في تفسير الألفاظ وتأويلها بما يُسهِّل الفهم والإفهام في العملية التخاطبية، يقول (شلبي) مُشِيدا بأهمية النظرية السياقية: " تعتبر النظرية السياقية بنموذجها النظري والتطبيقي من النظريات الأكثر تعلقا بالنظام اللغوي" (شلبي، 2001 ، ص 98 .).

وأكد (أولمان) على أهمية السياق ونظريته في تحديد المعنى بقوله: "إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى" (أولمان، 1975 ، ص 73).

والحاصل أنه من منظور الدلالة فإن المعنى لا يظهر إلا بالاستعمال؛ أي الطريقة التي نستعمل بها الكلمة في السياق، ولعل ذلك ما ألجأ بعض فلاسفة اللغة إلى أن يربط اللغة بالاستعمال كما عند (فنجشتاين)؛ وذلك ما يفعله متكلمو اللغة؛ حيث يستعملون الكلمة الواحدة في أكثر من سياق وموقف، سواء أكان السياق لغويا أم سياق حال (اسماعيل، 1995، ص 35)، فالتأويل بمفهومه الواسع لا يستغنى عن السياق بأنواعه سواء في ذلك تحليل المفردات التي من قبيل المشترك اللفظي، أو ما عرف في المدونة التفسيرية العربية بالوجوه والنظائر، أو على مستوى أعلى هو تحليل الخطاب أو قراءة النصوص، فالغاية والمقصد في كل ذلك هو الفهم والإفهام وإزالة الغموض.

وبعد ما سبق بيانه من أطر نظرية حول مصطلح التأويل وحضوره في حقول معرفية مختلفة في تراثنا العربي وفي رأي الدراسات الحديثة يبقى السؤال: كيف وظِّف التأويل في تفسير ألفاظ الوجوه والنظائر عند الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر؟ وهذا ما سيجيب عليه المبحث التالي بعون الله.

المطلب الثالث / التأويل الدلالي في كتاب قاموس القرآن للدامغاني.

أولا. ملامح المنهج التأويلي عند الدامغاني

التعريف بالدامغاني وكتابه:

ولد الحسين بن محمد الدامغاني سنة أربعمائة من الهجرة بمدينة دامغان من بلاد قوس الواقعة بين الري ونيسابور، واشتهرت هذه المدينة بالعلم كما يظهر من نسبة جماعة من أهل العلم إليها (الدامغاني، 1983 ، ص6)، وهو من العلماء الذين اتجهت أنظارهم لدراسة القرآن الكريم تفسيرا لألفاظه ومعانيه، فألَّف في الوجوه والنظائر كتابه المعروف بقاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر موضوع هذا البحث.

يقع الكتاب في خمسمائة وعشرين صفحة تقريبا، جمع فيه المؤلف ألفاظا متناظرة ذات وجوه ومعاني متعددة، وهي غالبا ما يُظن أنها من المشترك اللفظي المتعدد المعنى، ولكن الدامغاني يأوِّل كل لفظ إلى معنى متفرد يختلف عن معناه في مواضع أخرى من آي القرآن، ويتميز الكتاب بترتيبه الهجائي بحسب حروف المعجم؛ لتسهل قراءته وتداوله، وتكمن قيمة الكتاب في أنه جهد إصلاحي وإعادة ضبط وتوجيه لما سبقه من كتب في بابه (الوجوه والنظائر)، وخصوصا كتاب وجوه القرآن لمقاتل بن سليمان، وقد نبَّه الدامغاني إلى ما أغفله سابقوه من كلمات القرآن؛ ليكون كتابه أوفى وأشمل، وقد ذكر السبب الرئيس في وضعه الكتاب بقوله: "فعمدت إلى عمل كتاب مشتمل على ما صنفوه وما تركوه منه، وجعلته

مبوَّبا على حروف المعجم؛ ليسهل على الناظر فيه قراءته وعلى المتعلم حفظه" (الدامغاني، 1983 ، ص 11).

يدل ما سبق على أن الكتاب وإن كان في تأويل ألفاظ الوجوه والنظائر في القرآن، إلا أنه في شكله وبنائه أقرب إلى المعجم، وذلك من حيث الترتيب ووضع الألفاظ، ورغم ذلك فإن محقِّقه قد قلل من العمل في الكتاب، فأضاف المحقِّق عنوانا ضمن التحقيق سماه (إصلاح الكتاب) (الدامغاني، 1983 ،ص348)؛ ولعل ذلك ما سوَّغ تسميته بقاموس القرآن كما جاء في عنوانه وربما تكون التسمية من المحقِّق.

ويعد كتاب الدامغاني إصلاحا وتهذيبا وتشذيبا لكتب سبقته في بابه، حرص فيه المؤلف على ذكر جلِّ الألفاظ التي هي من قبيل الوجوه والنظائر.

ملامح منهج الدامغاني في التأويل:

يتفرد كل مؤلف أو كاتب بمنهج خاص في التأليف أو الكتابة؛ بحيث يعكس ذلك المنهج طريق المؤلف في التفكير، وأسلوبه في عرض أفكاره للمتلقي، وللدامغاني منهجه في هذا الكتاب موضوع الدراسة ومن ملامح ذلك المنهج أنه يعكس قدرته على التأويل في تفسير الألفاظ المتفِقة في اللفظ والمختلفة في المعنى؛ أي المتناظرة في اللفظ المختلفة في وجوه المعاني في القرآن، ويشير ذلك إلى معرفته الجيدة بالقرآن، وحفظه له واطلاعه على تفاسيره، فضلا عن علمه باللغة ومسائل مفرداتها، كالاشتراك اللفظي، الذي ربما ينكر وجوده ويعمل على تأويل ألفاظه بما يبعدها عن الاشتراك كما يراه القائلون بوجوده في اللغة، وكأنه يقرُّ بالفروق اللغوية على نحو ما فعل أبو هلال العسكري في كتابه الفروق في اللغة لدحض فكرة الترادف اعتمادا على التأويل.

ونرى من المناسب أن نقدم بعض الأمثلة والشواهد من الكتاب، ثم بعد ذلك نستنتج أهم ملامح منهجه فيه.

وسنقف على بعض الشواهد والأمثلة التي تبين منهج الدامغاني في تأويل الألفاظ ذات الوجوه المتعددة وإيضاح نظائرها من القرآن الكريم

ثانيا ــ تأويل ومتعدد الدلالة عند الدامغاني (شواهد وأمثلة):

يقصد هنا بمتعدد الدلالة اللفظ الواحد بحركاته سكناته في أصل وضعه في المعجم، مثل (حذر) وما يؤخذ منها مثل: (الخوف)، (الامتناع)، (الكتمان)؛ فاللفظ واحد وله وجوه متعددة:

(الخوف، الامتناع، الكتمان)، وعلى ذلك يكون دور التأول والمؤوِّل هو صرف الألفاظ إلى ما تحتمله من معان، كما قال السيوطي في معنى التأويل (السيوطي، 2006 ، ج3 ، ص138)

واحتوى الكتاب موضوع البحث والدراسة على عدد من الألفاظ رتبها على حروف المعجم –كما سبقت الإشارة– نختار منها أمثلة لعلها تبرز منهج الدامغاني في إدراكه لمفهوم التأويل وقيمته في فهم بعض من النصوص القرآن الكريم بوصفه خطابا فيه من البلاغة والإعجاز ما فيه، وقد يصعب فهمه على كثير من المتلقين لهذا الخطاب، وقد أرسل الله لنبيه أنه مكلف ببيان هذا القرآن للناس، قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (النحل، من الآية 44) ، كما حث الله جل شأنه عباده بتدبر الآيات وفهم معانيها قال تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**، (ص، الآية 29)، ولا تدبر للكلام إلا بفهم معانيه وتلك غاية التأويل ومقصده.

فما هي الشواهد المختارة من كتاب إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني؟

أولا–جاء في باب الباء تحت مادة (ب ع ث) أن وجوهها (سبعة أوجه): وذلك على النحو التالي

(الدامغاني، 1983 ، ص6).

الوجه الأول: البعث بمعنى الإلهام، وهو كما في قوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ**﴾ (المائدة من الآية 31)؛ بمعنى: فألهم الله غرابا.

الوجه الثاني: البعث بمعنى: الإحياء في الدنيا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة،الآية 56) وكذلك في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾ (البقرة، من الآية 259)، والمعنى في هذا السياق أحياه في الدنيا.

والوجه الثالث: البعث بمعنى اليقظة من النوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى**﴾ (الأنعام الآية 60)؛ ويبعثكم فيه؛ أي من النوم.

الوجه الرابع: البعث بمعنى التسليط كما جاء في قوله تعالى: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا**﴾ (الإسراء، من الآية 5).

الوجه الخامس: البعث بمعنى إرسال رسول: في سياق قوله تعالى: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ**﴾ (من الآية الكهف 19)، ومنه أيضا قوله جلت قدرته: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ**﴾ (الجمعة من الآية 2).

الوجه السادس: البعث بمعنى النصب والبيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾ (البقرة من الآية 247)؛ يعني قد نصب وبين موضعه.

الوجه السابع: البعث بمعنى النشور من القبور، وذلك في سياق قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ **(سورة الحج من الآية 7)**؛ يعني ينشر.

ثانيا–باب الفاء تحت مادة (ف رض) ذكر الدامغاني أن لهذه المادة خمسة أوجه، وهي: **(أوجب، بيَّن، أحلَّ، أنزل، والفريضة عينها)**

وذكر لكل وجه سياقه من القرآن الكريم الذي يحدد معناه رغم الاشتراك في البنية والشكل للفظ (فرض)، وذلك على النحو التالي: (الدامغاني، 1983 ،ص348) .

فرض بمعنى: أوجب، وهو في سياق قوله تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ (البقرة، من الآية 197).

فرض بمعنى: بيَّن، وسياقه قوله تعالى: ﴿**قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (التحريم، الآية 2).

فرض: أحلَّ، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ**﴾، (الأحزاب، من الآية 38).

فرض بمعنى: أنزل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**﴾، (القصص، من الآية 85).

فرض تعني الفريضة المُعيَّنة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ التوبة من الآية 60)؛ يعني قسمة المواريث لأهلها.

ثالثا–ذكر في باب النون، تحت مادة (ن ش ر)، أنها على أربعة أوجوه:

(الحياة، البعث، البسط، التفرق)، ووظف السياق الذي يخصص المعنى مستدلا على ذلك من القرآن الكريم وذلك على النحو التالي (الدامغاني، 1983 ،ص348):

النشور: الحياة وهو في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف، الآية 11).

النشور؛ بمعنى البعث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان، من الآية 3)، وكذلك في قوله عز وجل: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر، من الآية 9).

والنشور؛ بمعنى البسط، كالذي فيقوله جلّت قدرته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى، الآية 28).

والنشور؛ الانتشار والتفرق، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ (الأحزاب من الآية 53) أي: تفرقوا، وهو أيضا في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (الفرقان، الآية 47)، بمعنى: تفرقا لابتغاء الرزق.

ويتحصل مما سبق أنه من الملامح البارزة في منهج الدامغاني في التأويل أنه يركز على بيان المعنى وكشف دلالة اللفظ وإزالة الغموض عن اللفظ، فمن يقرأ اللفظ نفسه ببنائه وشكله بالحركة والسكون في أكثر من موضع في القرآن، قد تتداخل عليه المعاني وتلتبس الدلالات، وبالتالي لا يفهم المراد من الخطاب وقصد المتكلم، فيكون التأويل والتفسير هو الآلية القادرة على فك شفرات المعنى، واستجلاء كل غموض أو ضبابية في فهم الخطاب، وهذا ما قصده الدامغاني من كتابه بالدرجة الأولى إنها قراءة للنص بآلية التأويل استدركا لما فيه من إبهام وعدم بيان قد لا تبدو في بنيته السطحية لكثير من المتلقين للنص أو الخطاب.

ويبدو من منهج الدامغاني أن التأويل لديه ممارسة وسلوك لتسهيل الفهم وتحصيل المعنى في

غايته ومنتهاه.

وتنبَّه إلى أهمية السياق اللغوي وسياق الموقف في تحديد المعنى المراد وإبعاد كل المعاني المحتملة الأخرى عن الذاكرة بفعل السياق؛ فيصير متعدد الدلالة منفرد الدلالة.

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

خلص البحث إلى جملة من النتائج نذكر منها:

1- تبين من البحث أن مصطلح التأويل كان له حضوره الفاعل في الدراسات العربية التراثية في علم اللغة، وعلم التفسير، وفي علم البلاغة والنقد.

2- يعد التأويل من أهم المناهج التي اعتمد عليها بعض المفسرين في تأويل النص القرآني لتسهيل فهمه، وفرَّق بعض المفسرين بين مصطلحي التأويل والتفسير.

3- تطور مصطلح التأويل في الدراسات الحديثة بفضل جهود طائفة من الفلاسفة ليتجاوز البحث في تأويل الألفاظ والتراكيب إلى تأويل النصوص والخطابات بمختلف أنواعها.

4- يرتبط مفهوم التأويل بدراسة المعنى وفهم النصوص لإزالة غموضها وما فيها من إبهام؛ لتحقيق تواصل ناجح.

5- يعد علم الوجوه والنظائر من أبرز علوم العربية التي ظهر فيها تطبيق نظرية التأويل في الدرس العربي.

6- أظهر البحث جهد الدامغاني في منهجه التأويلي وتوظيفه السياق في تأويل المعنى فالتأويل عنده يقترب إلى حد كبير مما ورد في الدراسات الحديثة من كونه ممارسة وسلوكا من مؤوِل النص أو

الخطاب وإعمال الفكر في تأويل العلامات اللغوية وفق منهج علمي واضح المعالم لفهم الخطاب القرآني.

التوصيات

يوصي الباحث بإدخال المنهج التأويلي وقضاياه ضمن مقررات التعليم في المراحل الجامعية بأقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ لما له من أهمية في الفهم الجيد للنصوص الدينية والأدبية، وأيضا لما له من أهمية في تسهيل التواصل بين أبناء المجتمع.

المصادر والمراجع

1. ابن منظور، محمد ابن مكرم. (2008،ج1،ص 194). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
2. أولمان، استفن. (1975، ص 73). دور الكلمة في المعنى، تر/ كمال بشر، القاهرة: دار غريب، ط4.
3. بدر الدين الزركشي. (1972، ص193). البرهان في علوم القرآن. القاهرة . مصر : عيسى البابي الحلبي.
4. الجرجاني، عبدالقاهر. (1988، ص19). أسرار البلاغة ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. الجرجاني، عبدالقاهر. (1988، ص20). أسرار البلاغة. بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.
6. جلال الدين السيوطي. (2006 ج3 ص138). الاتقان في علوم القرآن. القاهرة: دار الصفا.
7. جلال الدين السيوطي. (2006، ج3، ص138). الاتقان في علوم القرآن، ط1. القاهرة: مكتبة الصفا.
8. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي. (1984، ص39). نزهة الأعين النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم،. بيروت: مؤسسة الرسالة.
9. الدامغاني، أبو حسين. (1983،ص348). قاموس القرآن. بيروت: دار العلم للملايين.
10. الدمغاني، الحسين. (1983، ص 11). قاموس القرآن.
11. الدمغاني، الحسين. (1983، ص6). قاموس القرأن، دار العلم للملايين، ط4 . بيروت.
12. الرازي، أبوبكر. (2010، ص38). مختار الصحاح. دمشق: دار الفيحاء .
13. السيوطي. (د ـ ت،ج1،ص384). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. بيروت: دار الجيل.
14. صلاح اسماعيل. (1995، ص 35). التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد. بيروت: دار الفكر العربي.
15. طارق شلبي. (2001، ص 98 .). الدرس التطبيقي في النقد العربي. القاهرة،.: مكتبة زهرة المدائن.
16. الطبري. (ج1،ص27). جامع البيان.
17. الطبري، أبو جعفر ابن جرير. (2007، ج1،ص20). جامع البيان . القاهرة: دار السلام.
18. الطبري، أبو جعفر بن جرير. (2007، ج1، ض20). جامع البيان في تأويل آي القرآن. القاهرة: دار السلام.
19. العسكري، أبوهلال. (1983، ص49). الفروق في اللغة، الدار العربية للكتاب،ط6 . بيروت: الدار العربية للكتاب.

20. عمارة ناصر . (2007). اللغة والتأويل.

21. عمارة ناصر . (2007، ص35). اللغة والتأويل. الجزائر : منشورات الاختلاف.

22. عمارة ناصر . (2007، ص9). اللغة والتأويل. الجزائر: منشورات الختلاف.

23. عمارة ناصر . (2007،ص34). اللغة والتأويل. الجزائر: منشورات الاختلاف.

24. عمارة، ناصر . (بلا تاريخ). اللغة والتأويل، 2007.

25. عمر، أحمد مختار . (1998، ص68). علم الدلالة. القاهرة: دار الكتب العلمية.

26. اللغة والتأويل. (2007 ص9). اللغة والتأويل. الجزائر: منشورات الاختلاف.

27. المبرد، أبو العباس. (1350، ص3). ماتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، دار الفكر العربي، ط1. بيروت.

28. محمد ابن عطية. (1997، ج1، ص 6). المحرر الوجيز. بيروت: دار الرسالة.

29. المصدر السابق ص34. (2007 ص34).

30. المصدر السابق ص73.

31. المصدر السابق، ص138.

32. ناصر عمارة. (2007، ص 9). اللغة والتأويل. بيروت: دار الكتب العلمية.

33. وافي، علي عبد الواحد. (1982،ص189). فقه اللغة. القاهرة: دار الفكر العربي.